مجلة المرشد

العدد : ٢٠٢ الموافق في جمادى الأولى ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٩ ميلادي

في مجلس الشيخ الحكيم : لقطات من أحاديث ومحاورات	بقلم : ع. ذو الفقار

على هامش كتاب أولادُنا من الطفولة إلى الشباب : منهجٌ عمليّ للتربية النفسيّة والسلوكيّة

قال الأستاذ م وهو من المشتغلين بعلم النفس والتربية والاجتماع ، ومن المواظبين على حضور مجلس الشيخ الحكيم :

- لقد رأيت هذا اليوم كتاباً للدكتور مأمون مُبَيِّض بعنوان : « أولادُنا من الطفولة إلى الشباب : منهجٌ عمليّ للتربية النفسيّة والسلوكيّة » فأثار الكتاب اهتمامي ، فشرعت في قراءته . وقد روى المؤلف في مقدمة كتابه هذه الحادثة الطريفة التي تصلح تذكرة ودرساً للآباء والأمهات ، قال :

- أحبّ أحد أبنائي ، وكان في السابعة من عمره ، أن تكون هدية العيد إليه حيواناً صغيراً يتسلّى به ويرعاه ويربيه ، فاشترى خُلْداً صغيراً ، واشترى مع الخلد الصغير كتيِّباً صغيراً عنوانُه : « كيف أرعى خُلْديَ الأول ؟ » ليتعلم كيف يرعاه ويربيه ويتعامل معه على أحسن وجه .

قال أحد شهود المجلس من الآباء والمثقفين الغيورين : ما أحلى هذه الحادثة البسيطة ! وما أنفع ما توحيه وتوجّه إليه !

طفلٌ صغير يشتري حيواناً صغيراً ، فلا يحمله إلى بيته حتى يشتري معه ما يعرّفه به ، ويعلّمه كيف يتعامل معه ويرعاه ويربيه ، هذا ووجوده معه وجودٌ عابر موقوت ، ليست له ذيول وآثار كبار !

واستطرد الرجل المثقف الغيور يقول :

- إن الواحد منّا ليأتي إلى بيته بالزوجة لتكون رفيقة حياته وأم أولاده ، فلا يكلّف نفسه ولا تكلّف نفسها - غالباً - أن يقرآ من الكتب الدينية والنفسية والاجتماعية ، والجنسية العلمية النظيفة ، ما يبصّرهما بطبيعة الحياة الزوجية من مختلف جوانبها ، وما يبيّن لهما ما فيها من حقوق وواجبات وما لها من آثار ، وما يعلّمهما كيف يقودان سفينة الحياة الزوجية بأمانة ومسؤولية ومهارة ووعي ، فيجنّبانها أو يتجاوزان بها العواصف والمآزق والأخطار ، ويصلان بها إلى الغاية والأهداف التي شرع الله تعالى من أجلها الزواج !

وإنَّ الأب الزوج ، والمرأة الزوجة ، يصيران من خلال الزواج أباً وأمّاً فلا يكلفان نفسيهما -

غالباً - ما كلّف نفسه هذا الطفل الصغير ابن سبع سنين !!

هل تستغربون بعد ذلك أن تصير زيجاتٌ وأُسَرٌ كثيرة إلى إخفاق ، ومآزق أليمة ، ودمار كامل في بعض الأحيان ، وأن نفشل كثيراً في فهم أبنائنا ومساعدتهم ، وتربيتهم بالطريقة المثلى ؟...

هذا عنصر مهمٌ وسبب مهمّ من أسباب ما يعانيه كثيرون من فشل أُسَريّ وتربويّ ؛ وليس هو بالطبع كلَّ العناصر والأسباب

قال الأستاذ م :

- لقد أشار المؤلف في مقدمته أيضاً إلى هذه الأمور

قال أحد الحضور :

- وما العمل ؟

قال الأستاذ م :

- جانبٌ من جوانب العمل ، فالعمل التربويّ - الاجتماعيّ - النفسيّ - متعدّدُ الجوانب ، متكاملٌ بعضه مع بعض ، أن نزيد عنايتنا بالتعليم والتدريب والتثقيف ، وأن تُؤلَّف لذلك الكتبُ الدينية والعلمية المبسطة ، وأن تُلقى في ذلك في مجتمعاتنا المحاضرات ، وتعقد الندوات ، ويُسْتَمَعَ إلى أرباب علم واختصاص في الدين والطب والنفس والتربية والاجتماع... وأن يكون لنا في مجتمعاتنا مختصّون خبراء أمناء ، يُرجع إليهم عند الحاجة ويُستشارون في هذه الأمور

والتفتت عيون الحاضرين إلى الشيخ الحكيم فقال :

إنّ ما ذكرتموه - ونَعْمَ ما ذكرتموه - واجب على الزوجين وعلى الأبوين ، وواجب على المجتمع كلّه أن يحققه ويُهيّئ له الوسائل والأسباب . وجزى الله الدكتور مأمون مبيض خيراً ، فقد كان له في كتابه فضلٌ في بعض ما دار في مجلسنا هذا من حديث مفيد.

مجلة الرائد

العدد : ٢٠٢ الموافق في جمادى الأولى ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٩ ميلادي

في مجلس الشيخ الحكيم : لقطات من أحاديث ومحاورات	بقلم : ع. ذو الفقار

الشعر وروايته وحُكْمه ودوره

قال طالب علم شرعيّ من قُطْرٍ عربيّ يزور مدينتنا للشيخ الحكيم :

- رأيتك في مجلسك الماضي تروي الشعر ، فهل تجد ذلك حلالاً ؟!

قال الشيخ الحكيم - مستغرباً - :

وهل تجدُه أنتَ غير ذلك ؟!

قال طالب العلم :

- فما قولك فيما رُوي عن رسول الله ﷺ : « لأنْ يمتلِئَ جَوْفُ أحدِكُم قَيْحاً خيرٌ له من أن يمتلئ شِعْراً » ؟!

قال الشيخ :

- هو حديث صحيح رواه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ، ورَوَى البخاريّ ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه : « لأن يمتلِئَ جَوْفُ أحدِكم قيْحاً يَرِيهِ خيرٌ من أن يمتلئ شِعْراً » بزيادة « يَرِيه » : أي يأكل جوفَه ويُفسِدُه

قال الطالب :

- وإذِنْ ؟!

قال الشيخ :

- إنّك لا يمكنك أن تنتزع حديثاً فتفصله عن سائر الأحاديث ، وأن تُغْفِل في فهمه ما فهمه منه الأئمة الكبار الثقاة ؛ فقد عَنْوَنَ الإمامُ البخاريّ - رحمه الله - البابَ الذي تضمّن هذين الحديثين بقوله : « بابُ ما يُكره أن يكون الغالبَ على الإنسان الشعرُ ، حتى يصدّه عن ذكرِ الله والعلم والقرآن » ؛ فالشعر المقصود هنا - كما يرى البخاريّ - هو الذي يصدّ عن ذكرِ الله والعلمِ والقرآن وليسَ أيّ شعر كان ، بأيّ قَدْرٍ كان ؛ وكلُّ ما يصدُّ عن ذلك - شعراً كان أو غير شعر - مكروه ، حتّى نوافلُ العباداتِ نفسُها تصبح مكروهة إذا شغلت عن الفروض والواجبات...

وَوَجْهُ كلام البخاري - عند الإمام ابن حَجَرٍ في فَتْح الباري - أنّ الذمّ إذا كان للامتلاء ، وهو الذي لا بقيّة لغيره معه ، دلّ على أن ما دونَ ذلك لا يدخله الذمّ »

وقال أبو عُبَيْد - وهو من أئمّة اللغة المعروفين بتحرّزهم في تفسير الحديث :

- وَجْهُهُ - أي : وجه الحديث - أن يمتلئ قلبُه من الشعر حتى يغلب عليه فيشغلَه عن القرآن وعن ذكر الله فيكونَ الغالبَ عليه ، فأما إذا كان القرآنُ والعلمُ الغالبين عليه فليس جوفُه ممتلئاً من الشعر »

وذكر بعضُهم أن معنى قوله ﷺ : « خير من أن يمتلئ شعراً » يعني الشعرَ الذي هُجِيَ به رسول الله ﷺ

ورويَ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : إنما قال [رسول الله ﷺ] : « من أن يمتلئ شعراً هُجيتُ به »

والذي يبدو لي أنّ ذمّ الشعر والتحذير منه في الحديث يرتبط بأمرين : كيفيّ وكميّ :

١- أن يكون الشعرُ ضالاً مُضلاً ، أو فاسداً مُفسداً ، أو فاحشاً هابطاً ، أو تجريحاً للإسلام والمسلمين ، وأن يستكثر الإنسان منه بقبولٍ أو لا مبالاةٍ ودون إنكار ، لا أن يعرفه مجرّد معرفة ، أو يرويه أحياناً - وهو منكر له - لغرض مشروع

٢- أن يمتلئ قلب الإنسان بالشعر - خيراً كان أو شراً - امتلاءً يستحوذ به الشعر عليه ، ولا يغادِرُ بقيّةً ولا مجالاً لسواه مما هو أوجب عليه

وهكذا ترى أيها الأخ الكريم أنّ أئمة اللغة والحديث - ونحن في ذلك معهم - لم يروا في الحديث الذي ذكرتَه تحريماً ، أو كراهيةً بإطلاق دون تحديد ولا تخصيص . وسترى من قول الرسول ﷺ وعملِه وإقراره ما تطمئن به النفس ، ويُصْلِح ما بينك وبين الشعر ؛ فقد استمع رسولُ الله ﷺ الشعر ، واستَنْشَدَه ، وتمثّل به ، واحتفى بأصحابه ، ونقدَه ، وقال فيه - كما روى ذلك البخاري وغيره : « إنّ من الشعر حكمةً » و « إنّ من البيان لسِحراً »

عن جابر بن سمرة قال :

- « جالست النبيّ ﷺ أكثرَ من مِئةِ مرّة ، وكان أصحابه يتناشدون الشعر ، ويتذاكرون أشياءَ من أمر الجاهلية وهو ساكت ، وربما تبسّم معهم »

[أخرجه الترمذي في « الأدب » وقال : حديث حسن صحيح]

في مجلس الشيخ الحكيم : لقطات من أحاديث ومحاورات	بقلم : ع. ذو الفقار

وعن أنس : أنّ النبيّ ﷺ دخل مكّة في عُمْرَةِ القضاء وابنُ رواحة يمشي بين يديه وهو يقول :

خَلُّوا بني الكفارِ عن سبيلهِ اليومَ نَضْرِبْكُم على تَنْزِيلهِ

ضَرْباً يُزيلُ الهامَ عن مَقيلهِ ويُذْهِلُ الخليلَ عن خليلهِ

فقال له عمر :

- يا ابنَ رواحة ! بينَ يديْ رسولِ الله ﷺ ، وفي حَرَمِ الله تقول الشعر ؟! فقال ﷺ :

- « خلِّ عنه يا عُمَر ! فَلَهِيَ أسرعُ فيهم [١] من نَضْحِ النَّبْلِ[٢] » [أخرجه الترمذي والنسائي ورواه ابن حِبان في صحيحه . وقال الشيخ ناصر : حديث صحيح]

❋ ❋ ❋

وعن عَمْرِو بن الشريد ، عن أبيه ، قال :

- رَدَفْتُ[٣] رسول الله ﷺ يوماً فقال : « هل معك من شعرِ أُمَيَّة بن أبي الصَّلْتِ شيءٌ ؟ » قلت : نعم . قال : « هِيهِ[٤] » فأنشدتُه بيتاً . فقال : « هِيهِ[٥] » ثمَّ أنشدته بيتاً . فقال : « هيه » حتى أنشدته مئة بيت

[رواه مسلم في « كتاب الشعر » وابن ماجة في « الأدب » والترمذي]

❋ ❋ ❋

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قيل لها :

- هل كان رسولُ الله ﷺ يتمثّل بشيء من الشعر ؟

قالت :

- « كان يتمثل بشعرِ ابن رَوَاحَة ، ويتمثّل بقوله[٦] : ويأتيك بالأخبارِ من لم تُزَوِّدِ » [أخرجه الترمذيّ في « الأدب » وقال : حديث حسن صحيح]

في مجلس الشيخ الحكيم : لقطات من أحاديث ومحاورات	بقلم : ع. ذو الفقار

وعن الهيثم بن أبي سِنان أنّه سمع أبا هريرة في قصَصِه ، يذكر النبيّ ﷺ يقول : « إن أخاً لكم لا يعرف الرَّفَثَ[٧] ». يعني بذلك ابنَ رَوَاحَة ، قال :

وفينا رسولُ اللهِ يَتْلو كتابَهُ إذا انشقَّ معروفٌ من الفجْرِ ساطِعُ
أرانا الهُدى بعد العمى فقلوبُنا بهِ مُوقِناتٌ أنَّ ما قالَ واقِعُ
يَبيتُ يُجافي جَنْبَه عن فِراشِه إذا استَثْقلتْ بالكافرين المضاجعُ

[رواه البخاري]

❋ ❋ ❋

وعن جُنْدُبِ بن سُفْيانَ أنّ رسول الله ﷺ كان في بعض المشاهد ، وقد دَمِيَتْ إصبعُه ، فقال :

« هل أنتِ إلاّ إصبعٌ دَميتِ وفي سبيل اللهِ ما لقيتِ »

[رواه البخاري ومسلم]

❋ ❋ ❋

وعن البراءِ بن عازب ، وسأله رجلٌ من قيْس : أفررتم عن رسول الله ﷺ يومَ حُنَيْن ؟ فقال [البراء] : لكنّ رسول الله ﷺ لم يفرّ . كانت هوازن رماةً ، وإنّا لمّا حملنا عليهم انكشفوا فأكببْنا على الغنائم ، فاستُقْبِلْنا بالسهام . ولقد رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ على بَغْلَتِهِ البيضاء ، وإنّ أبا سُفْيانَ [٨] آخذٌ بزمامها ، وهو يقول : « أنا النبيُّ لا كذِبْ أنا ابنُ عبدِ المطّلِبْ[٩] » [رواه البخاري ومسلم]

❋ ❋ ❋

وعن عائشة قالت :

- كان رسولُ الله ﷺ يضعُ لحسانَ بن ثابت مِنْبَراً في المسجد يقومُ عليه قائماً ، يُفاخرُ أو ينافح عن رسول الله ﷺ ، ويقول :

« إن الله تعالى يؤيّد حسانَ بروح القُدُس ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله ﷺ » [أخرجه الترمذي وأبو داود وغيره ، وصححه الترمذيّ والحاكم والذهبي]

❋ ❋ ❋

وعن أبي سَلَمَة بن عبدِ الرحمن بن عَوْفٍ أنه سمع حسانَ بنَ ثابتٍ الأنصاريَّ يستشهدُ أبا هريرة

فيقول : يا أبا هريرة ، نَشَدْتُكَ اللهَ ، هل سمعتَ رسولَ اللهِ ﷺ يقول : « يا حسّانُ ، أجِبْ عن رسول الله ، اللهمّ أيّدْهُ بروح القُدُس » ؟ قال أبو هريرة : نَعَم . [رواه البخاري]

❋ ❋ ❋

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أصدقُ كلمة قالها شاعرٌ ، كلمةُ لبيد : ألا كلُّ شيءٍ ما خلا اللهَ باطل ، وكاد أميّةُ بنُ أبي الصّلْتِ أن يُسْلِم » [رواه البخاريّ ومسلم] .

❋ ❋ ❋

وعن...

قال طالب العلم :

- مهلاً... مهلاً يا سيدي . لقد اكتفيتُ بما سمعت

قال الشيخ :

- إنّني لن أستمرَّ بسوْق الأدلّةِ من حديث رسول الله ﷺ وسيرتِه ، وسِيَرِ الصحابة والتابعين وأقوالهم ؛ ولكنني أُحبّ أن أشير إلى أن قضيّة الشعر ليست أنّه حَلالٌ وليس حراماً ؛ بل هي أهمُّ وأخطرُ وأجلُّ وأعظمُ من ذلك كثيراً

ولو أنّك تأمّلت الأحاديث الصحيحة التي أوردتها - وهنالك أيضاً غيرُها - لرأيتَ مدى تشجيع رسول الله ﷺ لشعراء الإسلام ، واهتمامه بهم ، وتكريمه إياهم ، وإدراكِه لدور الشعر الإسلاميّ والإنسانيّ الكبير ، وأثرِه البليغ في حياة الناس ، ومعركة الخير والشرّ ، وحرصِه وتمنيه أن يكون شعراءُ الإسلام أسبق الشعراء وأقدرهم وأن يكونوا على مستوى رسالتهم ومهمتهم ودورهم العظيم . وما أروعَ دعوته ﷺ لشعراء الإسلام ، مُمَثّلينَ بحسانَ بن ثابت ، أن يُؤَيّدهم الله بروح القُدُس ، لينتصروا على ألسنة الضلال وأبواق الضلال ، ويرتفعوا ويرتفعوا في سماوات الحق والخير والجمال والإبداع بلا حدود

الشعرُ الإسلاميُّ والإنسانيُّ الصادق الرفيع... ليس مجردَ شيءٍ مباح يوجدُ أو لا يوجد... سِيّان !

الشعر الإسلاميّ والإنسانيّ الصادق الرفيع حاجة وضرورةٌ من الحاجات والضرورات الإسلاميّة والإنسانيّة ، وجناحان عجيبان رائعان من هِبَةِ الرحمن ، يُحَلّقُ بهما الإنسانُ في آفاق الكون والنفس

والإيمان ، ويُلامِس بهما أعماق الحياة والأحياء ، وأسرارَ الحياة والأحياء ، فينبسطُ بذلك عالَمُهُ الخاصُّ وينمو ، ويَتَعَمَّقُ ويسمو ، ويعيشُ في عمره المحدود ما شاء من أعمار الآخرين ، وتجاربِ الآخرين ، ورُؤى الآخرين...

فإذا كنتَ - يا أخي الكريم - من أصحاب الموهبة الشعريّة ، والملكة الأدبيّة ، فلا تخجلْ بها ، ولا تتحرّجْ منها ، ولا تتردّد في تزكيتها وتغذيتها وتنميتها ، واستكمالِ وسائلها وأدواتها ، وأن تُعَبِّرَ عنها بِنَثْرٍ إنْ ساعفكَ النَّثْر ، أو شِعْرٍ إذا طَرِبَتْ نفسُك إلى الشِّعْر

أما إذا لم تكن من أصحاب الموهبة والبيان ، فإيّاكَ إيّاكَ أن تَقْرَبَ الشعرَ ، فيخرجَ إن نَظَمتَه مُتَكلَّفاً ميْتاً ، أو بارداً أو فاتراً لا حرارةَ فيه ، ولا لَوْنَ له ولا طعْم ، شَأْنَ كثيرٍ من شعرِ هذه الأيّام ، فالشِّعرُ إمّا أن يكون رائعاً بارعاً أو لا يكون

الهوامش :

(١) أسرع فيهم : أي أسرعُ في الكفار .

(٢) نَضْحُ النبل : الرميُ بالسهام وتفريق العدوّ بها .

(٣) رَدَفْتُ رسول الله : ركبت خلفه .

(٤) المقصود بـِ « هيه » هنا : أنشدني .

(٥) المقصود بـِ « هيه » هنا : زِدْني .

(٦) أي بقول طَرَفَة بن العبد أحد أصحاب المعلقات في الجاهلية ، والبيت بتمامه :

ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيــكَ بالأخبــار من لم تُــزوِّدِ

(٧) الرفث : الفحش في القول ، والتعبير الجنسيّ المكشوف .

(٨) هو أبو سفيان بن الحارث .

(٩) أنا ابنُ عبد المطلب : من رواية « مسلم » .

❋ ❋ ❋

مجلة الرائد

العدد : ٢٠٢ الموافق في جمادى الأولى ١٤١٩ هجري ١٩٩٨/٩ ميلادي

في مجلس الشيخ الحكيم : لقطات من أحاديث ومحاورات	بقلم : ع. ذو الفقار

محمد إقبال

لقد اشتهيتُ أن أعرفَ « الأرديّة » و « الفارسيّة » لأقرأ بهما مباشرةً شِعْرَ محمّد إقبال رحمه الله.

لقد أشْجاني وأبْكاني هذا الشاعرُ العظيم ؛ فليتَهُ يوجدُ فينا الآن كثيرٌ مثلُه يُشِعّونَ إيماناً وحَماسة وصِدقاً ، ويَتَلألؤون علماً ووعياً وفكراً ، ويتألقون بياناً وخيالاً وسحراً ، ويذوبون محبة ورقة ولوْعة ، وينفُخونَ في شُعوبنا الميّتة أنْسامَ الحياة والثقةِ بالله وبالنفس ، ويُبَصّرونها بالواقع والغاية والطريق ، ويَحْفزونَها عقلاً وعاطفةً وإرادةً إلى جلائل الأعمال ؛ ولكنْ هيهاتَ هيهات ، فمثلُ هذا الشاعر العظيم قليلٌ نادرٌ في كلّ عصر من العصور.

عن « كلمات صغيرة » للأخت الشهيدة « أم أيمن »